مسجد السلطان حسن

مسجد لا ثاني له في مصر’

بداية تشييده في عصر المماليك!

- حاول المماليك خلال ما يقارب 300 عام من الحكم تخليد ذكرهم في تاريخ مصر، وذلك بتشييد العديد من المعالم الأثرية خاصةً في القاهرة، واختلفت أشكال البناء والعمارة في عهدهم ما بين المنازل والقصور أضافة إلى المساجد.

- يعد مسجد السلطان حسن واحد من أهم المساجد التي شيدت في عهد دولة المماليك، وهو واحد من أهم وأضخم مساجد مصر التاريخية، وشيد المسجد على مقربة من قلعة صلاح الدين، بميدان الرميلة؛ الذي سمي فيما بعد بميدان صلاح الدين، وقد أنشىء المسجد في عهد السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون؛وهو أحد سلاطين دولة المماليك الأولى، أو دولة المماليك البحرية.



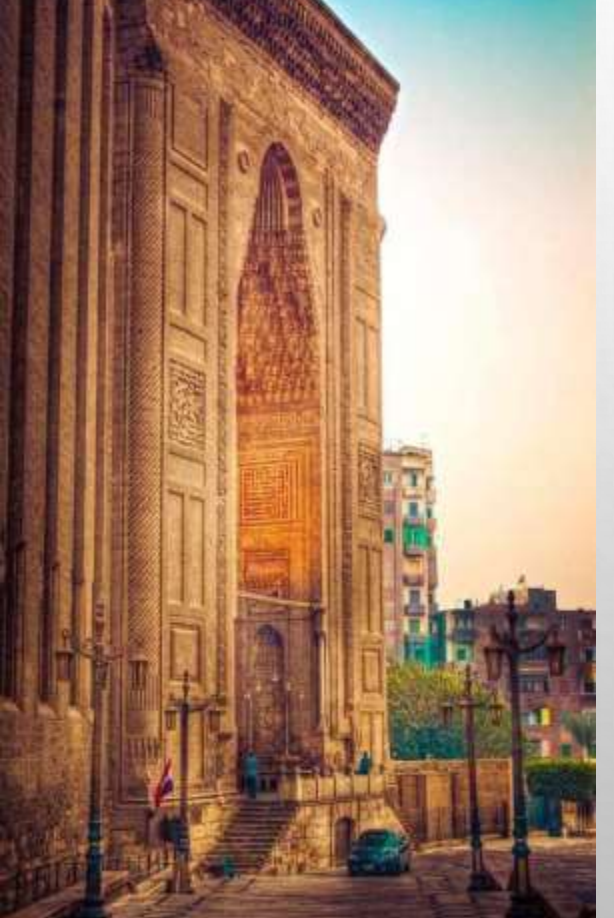
ماذا قيل عنه؟

- "«مسجد لا ثاني له في مصر، ولا في غيرها من البلاد في روعة البناء وتفرد الزخارف..» "؛ بهذه الكلمات وصف الرحالة المغربي الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني في كتابه *نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار*.
- وقال عنه جومار في كتاب *وصف مصر*:"«إنه من أجمل مباني القاهرة الإسلامية، ويستحق أن يكون في المرتبة الأولى من مراتب العمارة العربية بفضل قبته العالية، وارتفاع مئذنتيه، وعظمة اتساعه، وكثرة زخارفه..»".
- ويوصف المسجد بأنه:" تاج العمارة المملوكية، ودرّة المساجد المصرية.!!
- وهو نفسه المسجد الذي سبق أن أبدى الرئيس الأميركي باراك أوباما انبهاره بفخامته حينما زاره في عام 2009، وكان برفقته آنذاك وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون، وتجولا في داخله ووقفا عند تفاصيله وأبديا إعجابا بكل ما فيه.
- ويقال: إنه إذا كان لمصر القديمة أن تفخر بأهراماتها، فلها إسلاميا أن تتيه عجبا بمسجد ومدرسة السلطان حسن؛ الذي وصفه الرحالة المغربي الورثيلاني بالتفرد في فخامة البناء؛ إذ تبلغ مساحته 7906 أمتار مربعة نحو فدانين، وطوله 150 مترا، وعرضه 68،وارتفاعه 37.70م، بتكلفة قيل أنها تجاوزت 750 ألف دينارا من الذهب.





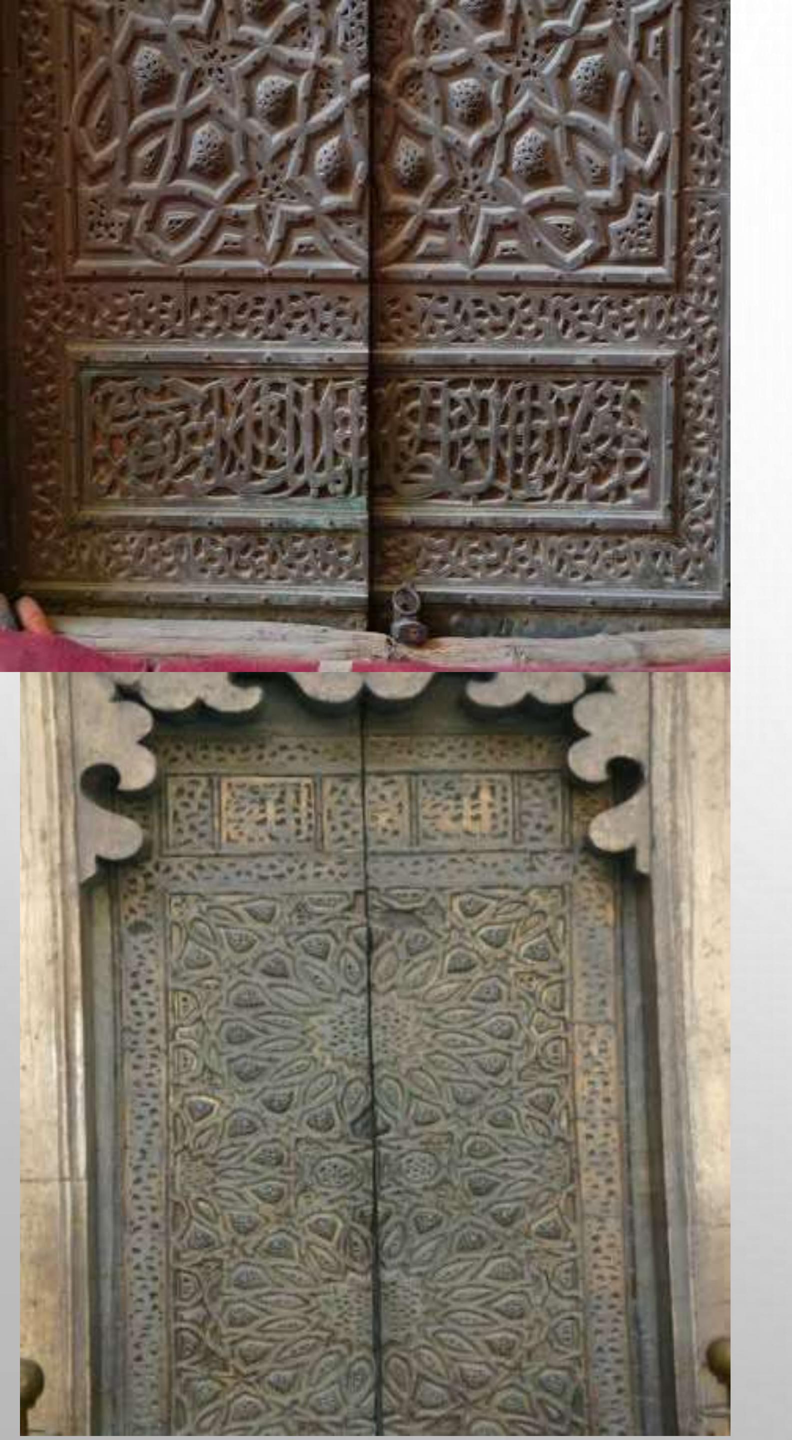
بناؤه معماريا!!



يعتبر المسجد معماريًا الأروع بين الجوامع المملوكية وأكثرها رفعة وشأنًا؛ إذ جمع بين ضخامة البناء وفرادة الهندسة، وتوفرت فيه دقة الصناعة وتنوع الزخرف، واجتمعت فيه شتى الفنون والصناعات، فنرى دقة الحفر في الحجر عبر زخارف المدخل ومقرنصاته العجيبة.!!

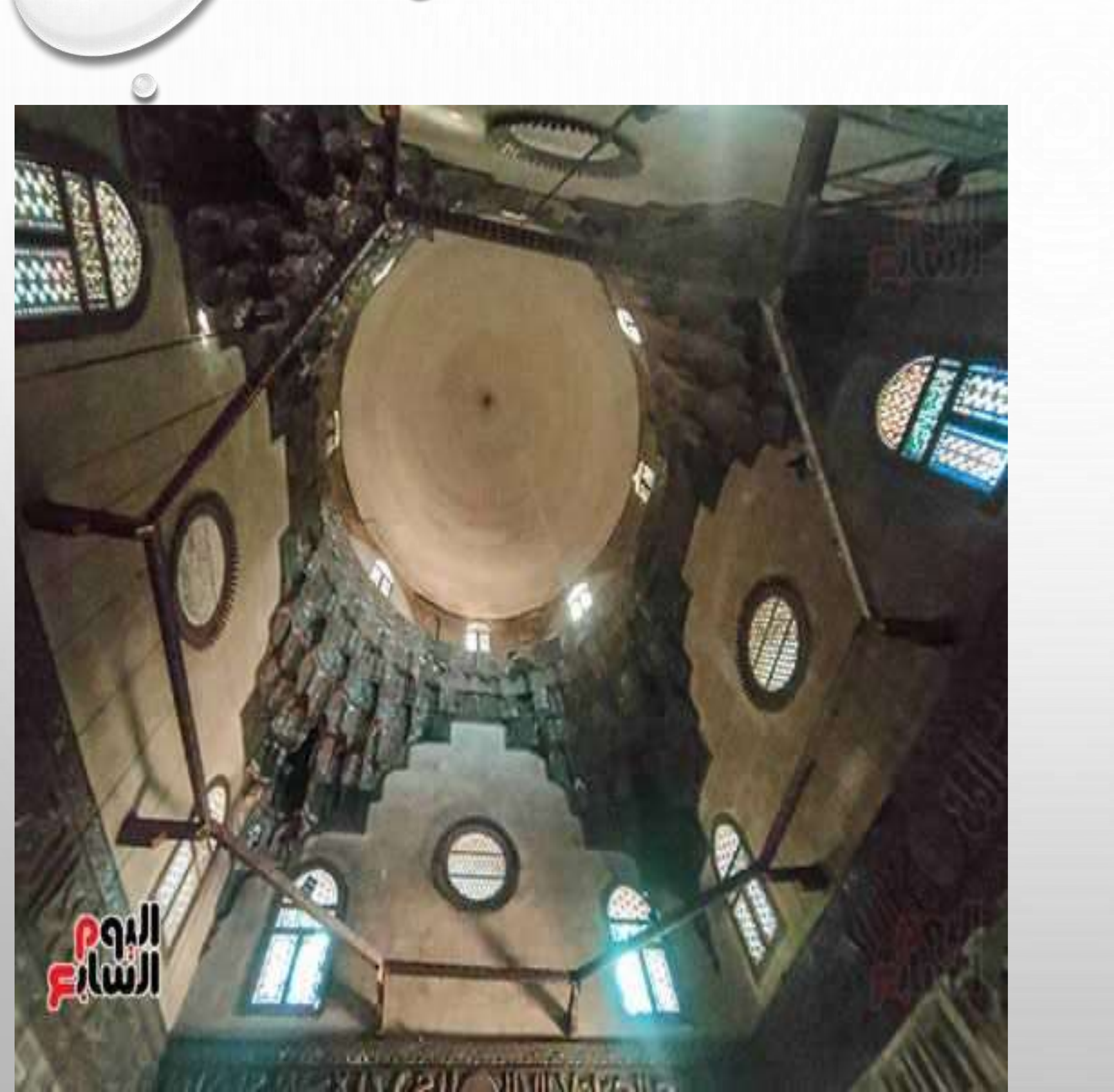
مسجد جمع بين قوة البناء وعظمة ورقه زخارفه فهو درة وفخر العمارة الإسلامية القديمة.!!





جولة بداخل المسجد!! ♡

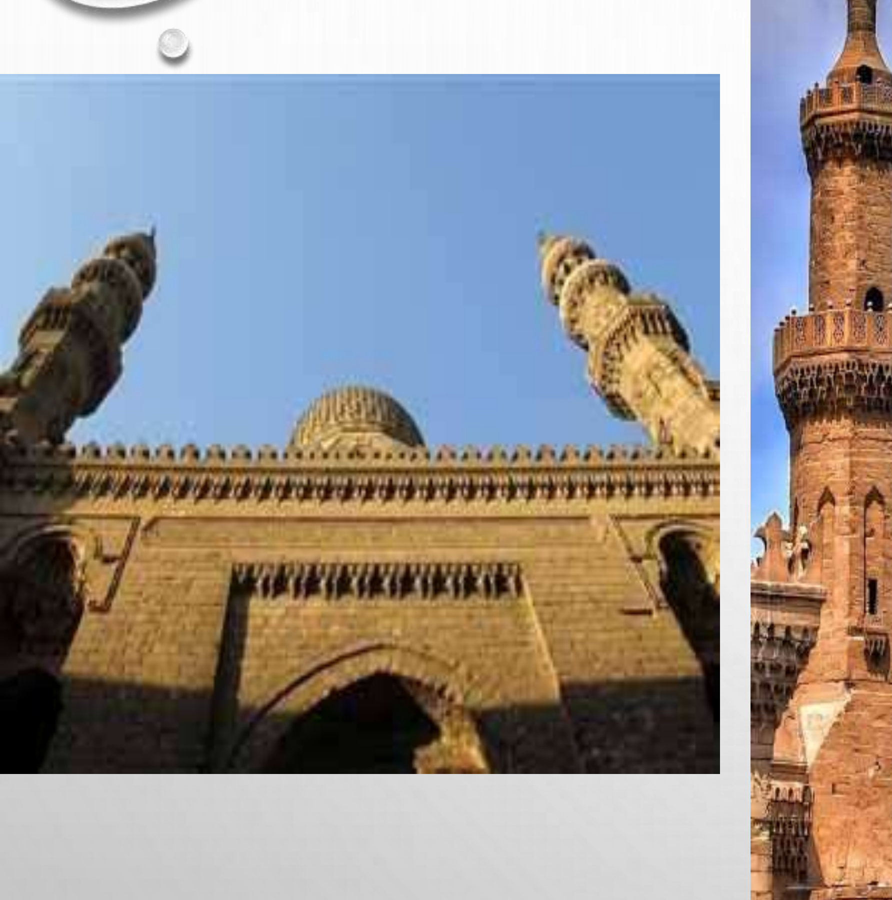
- بني المسجد بنظام المدارس ذات التخطيط المتعامد، حيث تتواجد الدركاة عند المدخل الرئيسي، ثم تنثني يسارًا إلى طرقة تفضي إلى صحن مكشوف دون سقف، يتوسطه قبة رخامية للوضوء، كتب حولها بشكل دائري العديد من الآيات القرآنية بالخط الكوفي، وحولها أربعة إيوانات، أكبرها إيوان القبلة، وقد كتب على كل من أبوابها أن السلطان بن قلاوون هو من أمر بإنشائها.
- في الطرف الغربي للواجهة الشمالية يوجد المدخل الرئيسي للجامع، وهو من المداخل الملكية الضخمة عمارة وزخرفة يبلغ ارتفاعه حوالي 37.70 مترا، وكان للمدخل باب من الخشب مصفح بالنحاس عليه زخارف مكفتة بالذهب والفضة نقل إلى جامع المؤيد شيخ المحمودي، الذي بناه بجوار باب زويلة سنة 819 هـ -1416م.



- تخطيط الجامع من الداخل يتألف من صحن أوسط مكشوف أبعاده 34.60×32م، تتوسطه ميضأة مغطاة بقبة من الخشب ترتكز على 8 أعمدة من الرخام، وقبة الميضأة من أعمال الأمير بشير الجمدار أحد أمراء السلطان حسن، الذي قام بإتمام بعض عناصر الجامع وزخارفه بعد وفاة السلطان سنة 1361، فأتم الكسوة الرخامية بالوزارات والأرضيات وأبواب المدارس الأربعة على الصحن سنة 764هـ -1362م.



- خلف إيوان القبلة توجد القبة والضريح، وطول ضلع غرفة الضريح 21 متراً، وارتفاع القبة حوالي 48 متراً وتم الانتهاء من بنائها سنة 1363 م، أما القبر الذي تحت القبة فقد تم بناؤه سنة 1384 ودفن فيه ابن السلطان حسن المدعو الشهاب أحمد المتوفي سنة 1386.





- للجامع مئذنتان أقدمهما المئذنة القبلية، ويبلغ ارتفاعها عن صحن الجامع 81.60 متراً، أما المئذنة الشمالية البحرية فقد سقطت سنة 1070 هـ- 1654م، وجددها الوالي العثماني إبراهيم باشا سنة 1082هـ- 1671م.

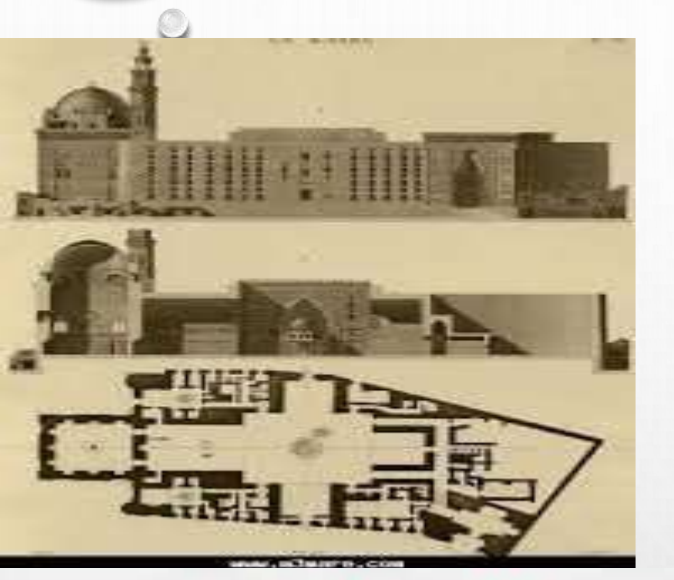


- وفيما يخص قبة المسجد الكبيرة، فيرجع تاريخ بنائها إلى القرن السابع العشر، بعدما تعرضت القبة القديمة للتلف، وتزخرف أركانها مقرنصات كبرى منقوشة، للمسجد أيضا مئذنتان رشيقتان، وازدحمت فيه روائع الفن، فزينت كل ما فيه، لا فرق في ذلك بين الثريات النحاسية والمشكاوات الزجاجية، علما بأن دار الآثار المصرية تحتفظ بالكثير من هذه التحف النادرة، والتي تعتبر من أدق وأجمل ما صنع في هذا العصر.



- وقد أنشئ المسجد من الداخل وفقًا لنظام المدارس ذات التخطيط المتعامد، وتعد كل مدرسة مسجد صغيرًا، وكانت كل مدرسة منها مخصصة لتدريس مذهب من المذاهب الإسلامية الأربعة "الشافعي – المالكي – الحنبلي – الحنفي"، وأمر بتخصيص شيخ لكل مذهب بشيخ ومائة طالب، في كل فرقة خمسة وعشرون متقدمون، وثلاثة معيدين، وحدد لكل منهم راتباً حسب وظيفته، وعين مدرساً لتفسير القرآن، ومعه ثلاثين طالباً.





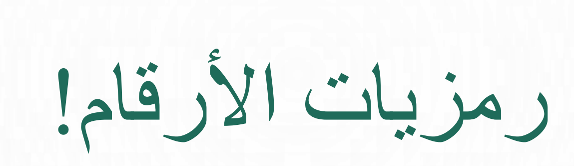


- فترة بناء المسجد كانت فترة صراعات سياسية بين الأمراء على الحكم، وكانت القلعة هي رمز للسيطرة السياسية؛ وهنا قرر السلطان حسن أن يبني أعظم وأفخم مسجد موجود في القاهرة؛ بحيث يضاهي ضخامة القلعة، وقررأن يكون في الجهة المقابلة للقلعة؛ بحيث يؤكد على أن كلمة الدين تعلو على كلمة الحاكم.
- وطلب السلطان حسن أن يكون مسجدا للصلاة، ومدرسة لتعليم أصول الدين والفقه.
- ولو نظرنا لشكل المسجد سنرى أنه يتكون من أربع إيوانات بينهم صحن كبير مكشوف، وكل ركن مخصص لمدرسة من المدارس الفقهية الأربعة (المالكي /الحنفي/الشافعي/الحنبلي)؛ وهذا لتأكيد أن التعليم هو حِجرالزاوية، وأساس أي مجتمع متحضر، والسبيل للتقدم.
- والجامع كان له مدخل واحد رئيسي؛ وهذا للتأكيد على وحدانية الخالق_عزوجل_، والمدخل كان منكسر؛ لكي يؤهل الزائر نفسيا ويفصله تماما عن العالم الخارجي.

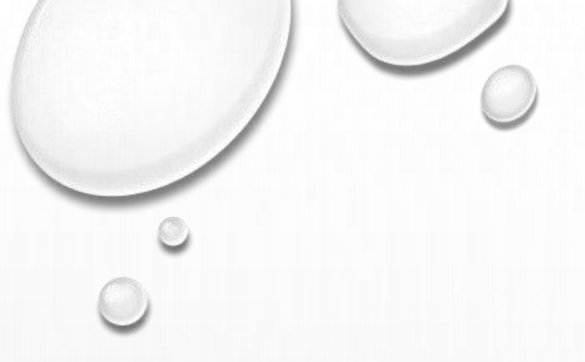
- قال المقريزيفي كتابه الشهير *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*: أن المعماري كان يجسّد رحلة الإنسان على الأرض من خلال تصميم المسجد.

كيف؟؟!!

عند دخولك للمسجد ستجد نفسكفي ممر طويل مظلم لا يوجد به إضاءة طبيعية؛ والممر هذا يعبر عن مرحلة تكوين الجنين في رحم الأم، وعند استمرارك للسير ستصل ألى الصحن، وهنا قد عبّر عنه القرويزي أنه يرمز للحظة ميلاد الإنسان وفترة شبابه الذي يتعلم فيها المدارس المختلفة، وإذا استمريت في نفس الإتجاه ستصل إلى إيوان القبلة؛ وهذا يعبر عن فترة الشيخوخة التي يكون فيها اهتمام الإنسان الأكبر للعابادات والتقرب من الله _سبحانه وتعالى_، وعند النظر خلف القبلة ستجد ضريح السلطان وعليك العلم بأن جثمان السلطان ليس فيه؛ لكنه موجود لسبب رمزي آلا وهو أن رحلة الإنسان في الدنيا تنتهي بالموت.



- المعماري في بداية المسجد أنشأ الدرج من اثني عشر درجة؛ ترمز إلى عدد شهور السنة، وساعات الليل وساعات النهار؛ تأكيدا لأهمية التوقيت للفرد المسلم لأن يحدد مواعيد الصلاة والعبادة.
- وإذا انتقلنا لقبة المسجد _التي وصفها المقريزي أنها من أجمل وأعلى القباب في العالم الإسلامي_ ستجد أسفلها ثمانية شبابيك، وأيضا المضيء اللموجود في منتصف الصحن سقفها مرفوع على ثمانية أعمدة، ودِكة المبلغ الوجودة في إيوان القبلة مرفوعة على ثمانية أعمدة؛ رقم ثمانية يرمز إلى عدد أبواب الجنة، وعدد الملائكة التي تحمل عرش الرحمن.
- معظم جدران المسجد عبارة عن خطوط متكررة فاتح وغامق وتسمى'الأبلق'؛ استخدمت للتعبير عن تعاقب الليل والنهار.



اتجاهات المسجد!

- المسجد يؤكد على اتجاهين أساسين:
- الاتجاه الأول: الاتجاه الأفقي؛ هو اتجاه الكعبة ويعبر على اتجاه القبلة، ونجد احترام المسجد له عن طريق توجيه المبنى بالكامل جنوب شرق الذي يعتبر اتجاه القبلة في مصر.
- الاتجاه الثاني: الاتجاه الرأسي؛ هو اتجاه السماء، وعبّر عنه المعماري بعدة أشكال؛ منها المآذن، وعرايس السما، والأرش المدبب.



- كان للمسجد روحانيات تجذب كل إنسان، اهتمام المعماريين بنقاط روحانية كانت واضحة من اهتمامهم ببناء أثري يخلد ذكراهم والسلام!
- فالصلاة في ذلك المسجد تشعرك بالسكينة، والسير فيه فقط كأنك تذهب لزمن ليس زمانك؛ لكنك تريد المكوث فيه!

السؤال الذي يتبادر لذهني؛ لماذا المعماريات والتشييد للمساجد الآن لا يركز على الروح المعنوية للمسلم؟!!

أتريد أن تشعر كيف تكن خطواتك وأنت تسير بها تتمنى أن تتوقف لكي تشبع من جمال تلك اللحظات؛ أنصحك أن تزور هذا المسجد عما قريب بإذن الله.!!